بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومِن سيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِلْ فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

أما بعد : قال فضيلة الشيخ محمد بن سعيد رسلان حفظه الله تعالى[1] :

.. والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يخبرنا أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء والحديث أخرجه مسلم في صحيحه من رواية أبي هريرة ﷺ : « إن هذا الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء » وفي تفسير الغرباء قولان ثابتان الذين يصلحون إذا فسد الناس فهؤلاء يتمسكون بدين الله ﷻ ويحرصون عليه وإن كانوا قابضين على الجمر كالذي يتمسك بالفضيلة في وسط الرذيلة وكالذي يثبت على الحق في مهب الرياح العاصفة من أعاصير الباطل متمسكا بدين الله ﷻ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أخبر أن كثيرا من هذه الأمة سيكونون في حال إتباع من كان قبلنا من الأمم على حال لا يرضاها الله ﷻ ويأنف منها العقلاء « لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » قالوا : يا رسول الله اليهود والنصارى قال:« فمن » فلايزال أقوام يحطبون في أهواء أولئك ويتبعون سننهم حتى في العقيدة ويهاجمون دين الإسلام العظيم وهم ينتمون إليه ويدافعون عنه بحربه وشن تلك الحروب عليه ودين الله ﷻ غالب منصور ومن قديم والكفار والمجرمون ينفقون أموالهم من أجل حرب الإسلام العظيم وأما أبناؤه فليسوا بمنأى ولا بمعزل عن وقوع الذل عليهم وعن تذبيحهم تذبيحا وعن تمكن المشركين من رقابهم وأما الإسلام نفسه فعزيز غالب منصور ، وهنالك من أساليب الحرب ما لا يلتفت إليه المسلمون يحسبونه هينا وهو عند الله عظيم وهذه منظمة اليونسكو في تقريرها في آخر أيام القرن العشرين وما القرن العشرون منا ببعيد إن هي إلاّ سنوات معدودات في تقرير من تقريرات تلك المنظمة يتعلق باللغات وقد يعجب كثير من المسلمين لهذا الأمر لأنهم لا يعرفون حقيقة الصراع ولأنهم يقاتلون في غير ميدان و لأنهم يسيرون على غير سبيل .

(١) من خطبة جمعة يوم (١٢ من ذي القعدة ١٤٣٠هـ الموافق ٣٠-١٠-٢٠٠٩م).

و كثير من المسلمين يفتعلون المعارك في غير ما مُعترك و يخرجون كأبي حية النُّميري و معه سيفه الخشبي و كان مشهور بحمله ومعلوم أن سيف من خشب لا يغني عند الصراع شيء وإنما يصير حامله وصاحبه ضحكة بين الفرسان بل بين الصبيان، فأخذ سيفه ومر يوما إلى حقله و كان قد زرعه ذرة وكان هنالك من دخل بين أعوادها فوقف هو وقد استل سيفه الخشبي يهدد و يزبد ويرغي ويبدأ و يعيد و يلوّح بسيفه هذا الخشبي في الهواء فخرج بعد حين أعزكم الله كلب أجرب فاغمد سيفه في قرابه وقال : الحمد الله الذي مسخك كلب وكفانا مئونة قتالك . كثير من المسلمين لا يعرفون مواطن ميادين المعركة ولا يعرفون ميادين الصراع وهذا واحد من ميادين الصراع القائمة تقوم الحرب فيه على أشدّها والمسلمون في غفلة نائمون، في تقدير اليونسكو عن اللغات في آخر القرن الماضي هذا الكلام : ماتت في القرن العشرين ٣٠٠ لغة ، ثم إذا ما نظرنا في هذه اللغات وجدنا أنها استُبدلت لأن الناس لابد لهم من لغة يتخاطبون بها و بها يتفاهمون ٣٠٠ لغة ماتت في ١٠٠ عام ففي كل عام تموت ٣ لغات يعني في كل ٤ اشهر ماتت لغة وطويت صفحة القرن العشرين على أسماء اللغات التي ماتت أحسن الله فيها العزاء ، ثم مضى التقرير و هو مبني على أقوال الخبراء في هذا المجال ، مضى التقرير يمد الخط على استقامته ويتوقع ما يموت من اللغات في القرن ٢١ فذكر التقرير انه في نهاية القرن٢١ ستموت اللغة العربية و هيهات إن اللغة إنما تموت بين أهلها بأن تكون لغة التعليم ولغة التفاهم ولغة الفهم و لغة الخطاب ولغة الاتصالات بين البشر فتموت اللغة حين إذٍ و تصير اللغة التي كانت أثرا بعد عين وتصير في متحف اللغات تماما كاللغات القديمة كالمسمارية الأكّادية وكالآشورية و الآرامية و السّنسكريتية وما أشبه و هي لغات قد مات و صارت بحفرياتها إلى متحف التاريخ تاريخ اللغات.

و لكن اللغات الحية تظل في أنفس أبنائها يتمسكون بها يفهمون بها يعلِّمون بها ويتعلَّمون بها ويتخاطبون بها ويتواصلون بها فهي لغتهم لأنها حياتهم واللغة العربية في حقيقتها لا خوف عليها لان الله ﷻ شرفها فانزل بها القرآن العظيم والله ﷻ قد تكفل بحفظ القران العظيم فلا يخشى على اللغة التي انزل الله ﷻ بها القران العظيم ، إن اللغات الحية التي يتخاطب

بها مجموع البشر في الأرض اليوم والتي يريد أهلها والمتكلمون بها إن يجعلوا لها السيادة على كل اللغات هذه اللغات ليست بشيء في حقيقة الأمر و هي افخر ما تكون في جذورها و في موادّها يعلم هذا أهل الصنعة فيه و كل من له مشاركة في معرفته يعلمه علم اليقين و هذه الانجليزية في طورها الحديث لم تكن شيء منذ ٢٠٠ عام فالانجليزية الحديثة لا يفهم المتكلم المتعلم لها و الذي يتكلم بها لا يفهم الانجليزية الوسيطة و هي لغة شكسبير ولا يفهم فضلا عن ذلك الانجليزية القديمة الانجلوسكسونية و أما اللغة العربية فعندك النصوص فيما قبل الإسلام العظيم تفهمها تتأملها تتذوقها هي هي من غير ما اختلاف و من غير ما تباين ولكن الناس عن هذا في غفلة ساهرون فهذه حقيقة الحرب المعلنة و لا يلتفت إليها كثير من المسلمين بل إن دعاة المسلمين ليتكلمون بالعامية في دروسهم يعلمون الإسلام بالعامية ويدعون إلى الله ﷻ باللغة العامية و هذه جريمة في حق الدين و هذه خيانة للإسلام العظيم و دعك من كل ما يقال فإن الإسلام هو الإسلام على مدار التاريخ و لم يتنازل عالم قط لكي يتكلم بلهجة محلية مع ترك اللغة العربية الفصحى المشتركة لكي يخاطب جماهير المسلمين وإنما تقوم الدعوة إلى الدين بلغة العلم وهي لغة القرآن العظيم واليوم تنازل أهل العلم عن لغة العلم و صاروا عواما يتكلمون بتلك اللهجة البغيضة وليست من الفصحى في شيء وصار الناس طرائق قددا و تمزقوا مزقا وجرؤا الناس عل كتاب الله رب العالمين إذ تناولوه فيما يزعمون تفسيرا بالعامية باللهجة المحلية فماذا كان صار كل من يمتلك لسان عالما خطيبا متكلما في دين الله رب العالمين وأين لغة القرآن العظيم ، إن وليام ويلكُكس عندما نزل مصر حفظها الله رب العالمين كان من وكده ومن همه ومن عَجَب أن يصير هذا الأغتم المحارب لدين الله رب العالمين أن يصير على قمة الهيئة المحررة لمجلة الأزهر وقتها وأخذ يدعو إلى استبدال العربية باللهجة المحلية ، والتفت لذلك أهل العلم وقام في وجهه الرافعي عفا الله عنه ، وكذلك في وجه أذنابه وكل من جاء بعده قام في وجهه ؛ العلاّمة أحمد شاكر

و العلامة محمود شاكر ومن لفّ لفّ هؤلاء الأفاضل فدافعوا عن دين الله رب العالمين لأن خبيئ ذلك أن تقطع الصلة بين المسلم وتراثه بين المسلم وكتاب ربه حتى يصير عند التعامل مع التراث في حاجة إلى مترجم وقال قائل : إنما ينبغي علينا أن نستبدل الحروف العربية ونأتي بخير منها بالحروف اللاتينية لأنه يُعبر عن الشكل عن الحركة في اللغة اللاتينية بحروفها وفي كل اللغات الآخرة بحروفها كالانجليزية يعبر عن الحركة بحرف وأما في العربية فلا يكون ذلك فإذا ما خلت الكلمة من الضبط والشكل وقع كثير من المغفلين في كثير من الوهم والخطأ ولغتنا هذه تحتاج أن نفهمها أولا لنُحسن قراءتها وغير لغتنا من اللغات تُقرأ لتُفهم ولغتنا تُفهم لتُقرأ ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماءُ ﴾ لو كانت غير مضبوطة فأنت تحتاج إلى الفهم أولا حتى تأتي بالضبط على الوجه ثانيا وحتى لا تتورط في ما لا يرضي ربك ﷻ ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماءُ ﴾ ﴿ وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّهُ ﴾ فأنت تحتاج إلى الفهم أولا لكي تحسن القراءة ثانيا وأما غيرنا في لغاتهم وهي لغات ليس فيها ما في لغتنا التي شرفها ربنا فأنزل بها كتابه العظيم وبعث بها نبيه الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وجعل مبانيها حاملة لخير عظيم يهدي الله رب العالمين به العالمين في الأرض كلها إلى رفع الوحي المطهر القرآن العظيم بين يدي الساعة من الصدور والسطو، فهذا ميدان لا يلتفت إليه إلا من رحم الله رب العالمين من المسلمين وجملتهم في غفلة سائرون لا يلتفتون إلى هذا الأمر العظيم ولا يحصّلونه ومعلوم أن اللغة لا تحيى بتعلم قواعدها وإنما تحيى اللغة بالتعليم بها لا تحيى اللغة بأن نعلم قواعد اللغة وإنما تحيى اللغة بأن نعلم باللغة فلا بد من التعليم بها لتحيى وهذا أمر لما غفل عنه من غفل وعلماء الدين هم السدنة لهذه اللغة الشريفة ومن كان قديما من علمائنا من علماء اللغة ومن النحويين والصرفيين ومن نظر في أعطاف هذه اللغة الشريفة إنما كانوا آخذين بما أخذوا به من تناول لهذه اللغة الشريفة من أجل بيان إعجاز القرآن العظيم ومن أجل حياطة الدين، فإنه لما اختلط العرب بالأعاجم وانحرفت الألسن عن الجادة العربية المستقيمة.

وضع العلماء أصول النحو ثم فُرّع على تلك الأصول وكذلك جُمعت متون اللغة فجَمع الخليل ما جمع في العين رحمة الله عليه وتأسس علم البلاغة لغاية واحدة وهي إظهار إعجاز القرآن العظيم علم البلاغة إنما تأسس من أجل حياطة الدين شابه بعد ذلك من مباحث المتكلمين والمعتزلة ما شابه ولكن إنما بدأ من أجل الدفاع عن القرآن العظيم، ومن أجل إثبات إعجازه للعالمين ، القرآن لا يحتاج إلى شيء من هذا في حقيقة الأمر ، ولكن أهل العلم يدافعون عن الدين، علماء الدين هم سدة اللغة والدعاة إلى الله رب العالمين على بصيرة، لا يمكن أن يكونوا مخالفين لهذا السنن ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة ﴾ فسبيل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الدعوة إلى الله رب العالمين على بصيرة، الدعوة إلى الله على بصيرة لا تكون بالتخلي عن لغة العلم وعن لغة القرآن العظيم يا لها من جريمة ! ما وُجدت في تاريخ الإسلام قَبلُ ، ما فسر القرآن أحد قبل أهل هذا العصر بلهجة من اللهجات العامية واللهجات العامية موجودة في كل لغة من قديم لا تحسبوها حادثة، لا تظنوها طارئة وهي موازية للغة الفصحى واللغة المشتركة لغة قريش كانت هنالك ولهجات القبائل قائمة، فإذا نظم الشاعر شعرا نظمه باللغة المشتركة وخالف لغة قومه وخالف لهجة أهله وأتى بما ينظِمه على الجادة المستقيمة وكذلك إذا خطب وإذا نثر إنما يأتي بذلك مستقيما، اللهجات قديمة وليست بطارئة ، لم يتدنى عالم من علماء المسلمين إلى هذا الدرك الهابط الذي تدنى إليه كثير من المعاصرين ففتقوا في الإسلام فتقا لا يُرتق إلى أن يشاء ربنا شيئا بحجة التقريب .. تخريب المعاني للمسلمين، وسلف من أهل العلم كانوا على ذلك أقدر فكانوا يتكلمون العربية ليرتفع الجمهور يرتفع الجمهور إلى قمتهم السامقة لا يتدنى الواحد منهم ليكون على مستوى الجمهور وإنما يرفع الجمهور معه،كما قال أبو تمام للكندي الفيلسوف عندما كان يمدح الخليفة وهو حاضر وكانت بينهما إحنه وبينهما بغضاء فلما قال أبو تمام :

قد كدت اد أرديت في الغلواء *** كم تعدلون و انتم(و) سُجراءِ

فقال الكندي الفيلسوف لما لا تقول ما يفهم ؟ قال : و أنت لما لا تفهم ما يقال ؟! و أنت لما لا تفهِم ما يقال؟! ، لماذا تتعلم اللغات على حساب لغتك الأم وهي عرضك أَوَرأيت رجلا شريفا حرا لا تدور في عروقه قطرة من دم بارد أرأيت رجلا شريفا غير ختريري الترعة يفرط في عرضه ويتهاون في شرفه ولغتك عرضك وشرفك لما تفرط فيه هي اللغة التي أنزل الله بها كتابه وصرنا بحيث أخذت الشراذم من شذّاذ الأرض الذين لعنهم الله ﷻ على لسان المرسلين صرنا بحيث صار شذّاذ الأرض وقطاع الطريق وصارت عصابة يهود تعلي من شأن اللغة العبرية وهي لغة ميتة لا قيمة لها في حقيقة الأمر أخرجوها من أجداثها و كسوها حلة العصر وصاروا يدرسون بها العلوم العصرية في الجامعات العبرية باللغة العبرية ولا ينطق بها على ظهر الأرض إلاّ جملة في ملايينها لا تتعدى أصابع القدم الواحدة ومع ذلك جعلوا العلوم العصرية خاضعة لتلك اللغة، ولغتنا وهي كما يقول كثير من اللغويين في هذا العصر من الباحثين الجادين الذين أثبتوا ذلك بما لا يدع مجال للشك فيه ولا للريب أن يترل بنواحيه لغتنا أصل اللغات وسيدة اللغات لغتنا سيدة اللغات وليست بصعبة ولا عسيرة وإنما الصعوبة في الأوهام والصعوبة في الأفهام، كل من درس الألمانية يعلم مدى صعوبتها، والذين ينطقون بها يتكلمون بحروف حنجلية ممجوجة هي في الأسماع ومع ذلك يكون لها اليد العليا ويقدم من أحاط بها علما وهي أصعب من اللغة العربية لأن المسلم لما انهزم في داخله انهزمت الدنيا كلها أمام عينيه، متراجعة كسيحة صار ذليلا منحطا إلا من رحم الله رب العالمين، اعلموا عباد الله أننا ينبغي علينا أن نحارب في الميادين النظيفة الشريفة وأن لا نهدر الطاقات مبددة في كل سبيل وإنما ينبغي علينا أن نعلم أن حرب هذا الدين قائمة معلنة وخافية حالها أنها معلنة وحالها أنها خافية ويحارب بهذا وهذا في جميع الميادين اختلف تصور المسلم ففكك نسيج إحساسه بحيث صار موزعا ممزق الأديم مهلهل الوجدان تمرّأ تماسكه وصار التنازع في قلبه ونفسه وروحه وعقله قائما بين ثوابته ومستجدات عصره لأنه لم يعدها دخيلة عليه متسللة بالباطل إليه

وإنما ركن إلى الدّعة وأخلد إلى الباطل فكان ما كان ، يتعامل مع كتاب الله ﷻ ولا يفقه منه حرفا إلاّ من رحم الله ويسمع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ويفهم منه غير المراد صار الدين كما ترون متنازَعا فيه بين أبنائه ..

.. إنما يعذر من لم يكن بالعربية ناطقا لم يتربى عليها و لم يجيى بين أهلها و لم تسنح له فرصة لتعلمها عيب على كل من كان عربيا و عيب على كل من حيا في ديار الإسلام ديار العروبة أن يقصر في هذا الأمر و لو علم ما يعانيه إخوانه من الأعاجم الذين هدوا إلى الدين الإسلام العظيم فأوتوا المنة العظمى بالهداية إلى دين الله رب العالمين لو علم مدى المعاناة لحمد الله في الأصباح وفي الأمساء و ما بين ذلك و لكن قومي لا يعلمون، غروا وخدعوا بأنهم يقاتلون في غير ميدان ويصارعون في غير معترك شغلتهم أحوالهم وهمومهم التي افتعلها لهم أعداؤهم حتى صاروا بتلك المثابة التي تعلمون، ويا ويحهم ثم يا ويحهم إذ يغربون وهم شرقيون و إذ يستعجمون وهم عربيون يا ويحهم ثم يا ويحهم إذ يصرفون عن لغة كتاب ربهم ويشغلون، تعلموا دين ربكم رحمكم الله لا تلتفتوا لؤلئك الذين يدعون بغير لغة العلم فقد خانوا لغة العلم وخانوا العلم وتورطوا في خيانة دين الإسلام العظيم وخطاب الجماهير بما تفهم لا يعني أن تتنازل عن لغة العلم وأن تُسِف، و نتحدى كل من يتكلم بالعامية في دين الله ﷻ داعيا أن يأتي من العامية بما يحيط بالمقاصد العربية الفصحى الشريفة لا يكون و إنما يقرب على حسب فهمه هو فترجم الفصحى لعاميته ثم خاطب العوام بعاميتهم فمسخ العلم على يديه ثلاث مرات و لو كان على العربية قادرا وللأخذ بها متناولا و للبيان الحق مؤديا لأتى بالسهل الممتنع و لكلم الناس بما يفهمون وهو يتكلم على القانون العربي المكين المتين من غير ما إغراب و لا إسفاف من غير إن يأتي بالحوشي الوحشي من الألفاظ ومن غير أن يسف في اللغة الشريفة إلى ذلك الدرك الهابط المنحط فماذا صنعوا تخالف الناس و اختلفوا هل استقاموا فصاروا على قلب رجل واحد هيهات ثم هيهات فان هذا مما يتخالف مع دين الله ﷻ وقد جعل للحصول على الهداية أسباب وإن تلك الأسباب لمن غير أسبابها.

فالله المستعان وعليه التكلان و صلى الله وسلم على نبينا محمد و على اله و أصحابه أجمعين.

بحمد الله تم

جِنَايَةُ العَامِيَّةِ وَخِيَانَةُ الدِّينِ

خطبة مفرغة

فضيلة الشيخ الدكتور
أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان